

نقد الرواية العربية من منظور الاستشراق - روجر ألن مثالا -

■ أ. م. د. علي محمد ياسين
■ جامعة كربلاء- كلية العلوم الإسلامية

الملخص

للبروفسور المستشرق (روجر ألن) اهتمامات واضحة في الأدب العربي الحديث تعكسها مجموعة الروايات العربية المتعددة التي ترجمها إلى اللغة الإنجليزية و مجموع البحوث والمحاضرات التي خصصها لهذا الأدب مركزاً على جانبه النثري الذي لم يجد الاهتمام المطلوب من قبل المستشرقين قدر اهتمامهم بالمجالات الأخرى إبداعية كانت أو معرفية.

يسعى هذا البحث للوصول إلى الكيفية التي يفهم بها القارئ الغربي أدبنا العربي الحديث، وذلك عبر تسليط الضوء على الطريقة التي تعامل بها هذا المستشرق مع الفن الروائي العربي من خلال كتابه: (الرواية العربية، مقدمة تاريخية ونقدية) ثم محاولة تقصيم مفاهيمه العامة لهذا الجنس السردى وصولاً إلى منهجه في التعامل مع الأدب العربي الحديث ممثلاً ببعض الأعمال الروائية والقصصية التي استجابت لها ذائقته النقدية فقرأها على وفق هذه الاستجابة.

المقدمة

يعد المستشرق البريطاني روجر ألن المولود عام 1942م في (بورن ديفون) والحاصل على درجة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة أوكسفورد في بريطانيا عام 1968م،⁽¹⁾ واحداً من ألمع المستشرقين المعاصرين ممن اهتموا بالأدب العربي الحديث الذي لم يكن ليستقطب الدراسات الاستشرافية أسوةً بالأدب الكلاسيكية العربية؛ لصعوبته أولاً ولقلة البحوث المكتوبة عنه في الأكاديميات الغربية، قياساً بالبحوث والدراسات الأخرى المكتوبة في المجالات الفكرية والتاريخية والدينية التي شغلت الاستشراق وحركت دوافعه العديدة⁽²⁾.

وقد عمل (روجر ألن) مدرساً لمادة الأدب العربي في الجامعات البريطانية بعد حصوله على شهادة الماجستير، ثم تحول للعمل بجامعة بنسلفانيا في فيلاديلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية بعد حصوله على شهادة الدكتوراه، وما يزال محاضراً بدرجة (بروفسور) في التخصص نفسه وفي الجامعة نفسها⁽³⁾، وقد كتب داخل أروقة هذه الجامعة أول دراسة له بعنوان: حديث عيسى بن هشام للمويلحي، دراسة عصر في ظل الاحتلال البريطاني الصادرة عن دار نشر جامعة نيويورك عام 1974م⁽⁴⁾.

قدم هذا المستشرق العديد من المحاضرات حول الرواية العربية أيام عمله في الجامعات البريطانية، ثم جمع هذه المحاضرات وأضاف إليها الكثير لينشرها عام 1982م في الولايات المتحدة الأمريكية بكتاب ترجمته إلى العربية (حصّة إبراهيم المنيف) بعنوان: (الرواية العربية، مقدمة تاريخية ونقدية)⁽⁵⁾، وهو ما سيرتكز عليه هذا البحث الموجز، مضافاً إليه كتابه

(1) ينظر، نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط ٤، ١٩٨٠م، ج ٢ / ص ٦١

(2) للوقوف على الأسباب العديدة لعزوف الاستشراق عن دراسة الأدب العربي الحديث، ينظر مثلاً، أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. (القاهرة، بدون تاريخ) ص ٤٩٢ وما بعدها.

(3) ينظر، روجر ألن: لا أترجم لأديب لا أعرفه شخصياً، حوار أجرته معه مجلة البيان الإماراتية بتاريخ ٢٩ يونيو ٢٠٠٨ على الرابط <https://www.albayan.ae/paths/books/1,6٥٢٣٦٨-٢٩-٠٦-٢٠٠٨>

(4) ينظر، د. وائل علي السيد: المستشرقون وأثرهم في الدراسات الأدبية العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠١٣م، ص ١٨٣.

(5) ينظر، روجر ألن: الرواية العربية مقدمةً تاريخيةً ونقديةً، ترجمة: حصّة إبراهيم المنيف، المشروع القومي للترجمة، ١٩٩٧م (د ط)، ص ١٣.

الثاني الصادر عام 2000م، بعنوان (مقدمة عن الأدب العربي) والمترجم هو الآخر إلى العربية بوساطة ثلاثة من المترجمين العرب، هم: (رمضان بسطاويسي، مجدي أحمد توفيق، فاطمة قنديل) والمنشور عام 2003م، عبر مؤسسة المشروع القومي للترجمة في القاهرة، والكتبان يكشفان عن إلمام واضح بتاريخ الأدب العربي الطويل، ولا سيما الحديث منه، وعن معرفة بالأسماء المبدعة في الفن الروائي من مختلف الأقطار العربيّة.

وبالنظر إلى المنزلة الرفيعة التي يتمتع بها (روجر ألن) من خلال تفاعله مع المشهد الثقافي العربي المرتبط بالفن الروائي فقد أنتدب إلى جانب تدريسه في الجامعة رئيساً للجنة تحكيم جائزة (بانيبال) للترجمة، وعضواً مشاركاً في لجنة تحكيم جائزة (العويس) الدولية، فضلاً عن رئاسته تحرير مجلة آداب الشرق المتوسط، وإعداده لأحد أجزاء تاريخ (كمبردج) للأدب العربي⁽¹⁾.

وإيماناً منه بالقيمة الفنية العالية وبالجدارة الأدبية التي تحملها الرواية العربية، فقد نقل إلى الإنجليزية الكثير من القصص والروايات العربية، منها على سبيل المثال لا الحصر، رواية (خان الخليلي) لنجيب محفوظ ورواية (حكايتي شرح يطول)، كما ترجم رواية الأديب المغربي بن سالم حميش (مجنون الحكم) المستوحية لسيرة العلامة ابن خلدون، فضلاً عن ترجمته لبعض أعمال يوسف إدريس وجبرا إبراهيم جبرا وعبد الرحمن منيف ومي التلمساني، وسواهم من الأدباء العرب المعاصرين⁽²⁾.

وستحاول هذه الدراسة الموجزة من خلال مباحثها الثلاثة الوقوف على مفهوم (روجر ألن) لفن الرواية وتتبع منابع الرؤية المشكّلة لهذا المفهوم من خلال تحليل نصوصه، لا بوصفه ناقداً فحسب؛ وإنما بوصفه ناقداً ومستشرقاً في آنٍ واحدٍ، لا سيما وأن النقد الأدبي الروائي من منظور الاستشراق - كما يبدو لي - لم يتطرق إليه أحد من الباحثين العرب ضمن بحثٍ علميٍّ منشورٍ.

(1) ينظر، روجر ألن: مقدمة للأدب العربي، ترجمة: رمضان بسطاويسي، مجدي أحمد توفيق، فاطمة قنديل، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2003م، ص 393.

(2) ينظر، روجر ألن: لا أترجم لأديبٍ لا أعرفه شخصياً، مصدرٌ سابقٌ.

كما ستسعى محاولتنا هذه إلى مقارنة المنهج النقدي الذي تحركت في إطاره اشتغالات هذا المستشرق حينما اختار نماذجَ معينةً من الرواية العربية في كتابه هذا بغية تحديد الموقف الفكري الذي يضمه من خلال تفضيله هذه النماذج التي قاربها دون غيرها.

المبحث الأول

- المستشرقون والسرد العربي الحديث، مدخلٌ أوليُّ

على الرغم من الصعوبات الجمة التي تواجه الدارسين لوضع تعريف مانع جامع للرواية بوصفها فناً إبداعياً مستمراً في التطور وغير مكتمل الملامح وغير خاضع لضوابط وأعرافٍ فنيةٍ نهائيةٍ،⁽¹⁾ فإن مصطلح الرواية المحيل على نوعٍ من أنواع سرد القصص المشتمل على العديد من الأحداث والشخصيات المتنوعة الانفعالات والمشارب والدوافع قد انتقل للدلالة على العمل القصصية أن كان متعلقاً بعملية نقل الأخبار والأحداث والأسمار والقصص والحكايات.⁽²⁾

إن للرواية - كما يرصد ذلك عبد الملك مرتاض - تعريفاتٌ لا تُحصى⁽³⁾، لكنها تبقى في نهاية المطاف جنساً أدبياً راقياً، وشديد التعقيد، تتلاحم أجزاؤه وتتضافر لتكوّن شكلاً أدبياً عماده اللغة الأدبية والخيال الذي يسقي هذه اللغة مشدوداً بعنصر السرد وما يقتضيه من حبكة وحوادث وشخصيات تواجه مصائرَ متنوعةً⁽⁴⁾.

وربما انسحبت إشكالية تحديد ماهية الرواية وصعوبة تعريفها كجنسٍ أدبيٍّ على إشكاليةٍ أخرى متعلقةً بالتاريخ الأدبي لها، إذ درج المهتمون على أن بداية التاريخ الفني لها عالمياً ينطلق مع رواية (دون كيشوت 1605م) للكاتب الأسباني سرفانتس، وعربياً مع رواية (زينب 1914م) للكاتب المصري محمد حسين هيكل، على الرغم من وجود أشكالٍ قصصيةٍ أخرى سابقةٍ لهذين

(١) ينظر، محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس ط١، ٢٠١٠، ص ٢٠١.

(٢) ينظر، عدنان بن ذريل: مصطلح الرواية وتطور مفهومها العربي، مجلة الآداب البيروتية، آذار، ١٩٦٣م.

(٣) ينظر: عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠)، الكويت، ١٩٩٨م.

ص ١١ وما بعدها.

(٤) ينظر، نفسه، ص ٣٠.

العملين في الأدب العالمي والأدب العربي على حدٍ سواء. وهذا لا يعني أن ظهور الرواية العربية وبروزها مرتبطٌ بصاحب رواية (زينب) وحده، بل هو ثمرةٌ لعواملٍ عديدة: أدبية، وثقافية واجتماعية، ولتطور المجتمع العربي الحديث بعد الاحتكاك بأوروبا، ولظهور الطباعة وانتشار الصحافة ونشاط حركة الترجمة، فضلاً عن التطورات الاقتصادية الكبرى التي أسهمت بحدوث تحولات اجتماعية مهمة كان فنُّ الرواية فيها من أكثر الأجناس الأدبية قدرةً على مواكبة الأحداث ورصدها والتعبير عنها. ولما كان النقد الأدبي جزءاً من المشهد الثقافي، ينحطُّ بانحطاطه ويزدهر لازدهاره فقد صاحب الرواية العربية بعد ظهورها نقداً جديداً مختلفاً لم تعهده الثقافة العربية المتألفة مع فن الشعر لقرونٍ طويلة، والممثلة لتراثٍ عريقٍ يجيد التعامل مع هذا الفن القريب من ذائقة العربي ومن نفسيته، وقد اختلفت مواقف النقاد العرب وطرق معالجتهم ومناهجهم في تناولهم لفن الرواية اختلافاً كبيراً^(١).

أما عند المستشرقين فقد نالت الرواية العربية حظوةً كبيرةً من المهتمين منهم بالأدب العربي الحديث تجاوزت حظوة الشعر نفسه، وقد وجدت هذه الرواية طريقاً إلى ترجماتهم الكثيرة لنماذجٍ مختلفةٍ منها، وإنَّ هذه الترجمات كانت (أقرب إلى الدارسين الغربيين من ترجمة الشعر والمسرح، كما أنها [الرواية] لا تعبر عن طبيعة البيئة العربية وحدها، بل تطرح قضية الإنسان بشكلٍ عامٍّ، وهي تخلو من تعقيدات الشعر، وتهويمات المسرح، وتكشف عن خصائص الأديب والمجتمع معاً)^(٢).

وبهذا الصدد فإنَّ الاستشراق، وإنَّ أُنهم بتركيز اهتمامه على تاريخ الشعوب الشرقية في الماضي البعيد، ويأهمل تطور هذه الشعوب في العصور الحديثة والسكوت عن نهضتها القوميّة باقتصاره على دراسة الجوانب البالية

(١) للوقوف على ذلك ينظر مثلاً: د. أحمد إبراهيم الهواري، نقد الرواية العربية في الأدب العربي الحديث في مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، د. ط، ٢٠٠٣، ص ١٠٧ وما بعدها؛ وينظر أيضاً، محمد سويرتي: النقد البيوي والنص الروائي، نماذج تحليلية من النقد العربي، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ط ٢١٩٩٤م، ص ٢١ وما بعدها.

(٢) د. وائل علي السيد: المستشرقون وأثرهم في الدراسات الأدبية العربية، مصدر سابق، ص ١٨٦.

والميتة من الحضارات الشرقية⁽¹⁾؛ فإن الباحث لا يعدم وجود اهتمام واضح بشؤون الحياة الثقافية والأدبية المعاصرة عند العرب، وبفن الرواية خصوصاً، وقد ابتدأت ريادة هذا الاهتمام مع (أغنايوس كراتشكوفسكي) الروسي، ثم تابعته تلميذته (كلثوم عودة فاسيليفيا) التي نشرت المنتخبات لدراسة الآداب العربية منذ سنة 1880م- 1925م، متناولةً أدب جرجي زيدان وأمين الريحاني وجبران خليل، ثم لحقتها بدراساتها عن توفيق الحكيم والمازني وذوي النون أيوب والشرقاوي ويوسف إدريس وغيرهم⁽²⁾.

وما يؤكد هذا الاهتمام لاحقاً هو كثرة الرسائل والأطاريح المسجلة في الأكاديميات الغربية عن فنون العرب السردية الحديثة، ومن هذه الدراسات مثلاً: أطروحة المستشرق الفرنسي (شارل فيال) بعنوان: الاتجاهات الاجتماعية في القصة العربية المعاصرة، في عام 1957م، ورسالة المستشرق الأسباني (فرناندو أويدا) بعنوان: الأفضوصة المعاصرة في المغرب عام 1969م، ورسالة المستشركة الأسبانية (ماريا توماس كلارا) عن الرواية النسائية المعاصرة في سوريا⁽³⁾.

ومع مطلع السبعينيات من القرن الماضي شهد حقل الرواية العربية إقبالاً واضحاً من المستشرقين الفرنسيين، إذ كتب (شارل فيال) مجموعة كتب عن الرواية العربية منها كتابه: المرأة في أدب نجيب محفوظ عام 1972م، وكتاب عن أدب يحيى حقي القصصي، وثالث بعنوان: القاهرة في نظر الروائيين العرب عام 1973م، كما كتب المستشرق الفرنسي (مونييه) عن الأدب القصصي لمحمد عبد الحلیم عام 1974م، في حين اختارت المستشركة الفرنسية (ندا توميش) في العام 1975م أن تؤرخ للقصة المصرية بعد حرب حزيران عام 1967م، وأن تكتب في العام 1976م عن ريادة القصة المصرية وبواكيرها الأولى⁽⁴⁾.

(١) ينظر، عبد الله العروي: الإيديولوجيا العربية المعاصرة، دار الحقيقة، بيروت، د.ط، ١٩٧٠م، ص ٢٤٠.

(٢) ينظر: أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ط، ١٩٩٨م، ص ٥١١.

(٣) ينظر، العقيلي: المستشرقون، مصدر سابق، ج ١/ ص ٣٧.

(٤) د. وائل علي السيد: المستشرقون وأثرهم في الدراسات الأدبية العربية، مصدر سابق، ص ١٨٧.

أما التطور الكبير الذي حققته الرواية العربية خلال العقدين الأخيرين من القرن نفسه، لا سيما بعد فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل للآداب عام 1988م فقد أغرى المستشرقين المهتمين بالسرد العربي بالدخول إلى عوالم نجيب محفوظ بغية اكتشافها وتحليل شخصياتها المتحركة في محيطٍ شرقيٍّ إسلاميٍّ يكابد من أجل النهوض واللحاق بركب الحضارات الإنسانية الصاعدة.

ولذلك فقد بلغ عدد المقالات والدراسات التي كتبت عن محفوظ بعد حصوله على الجائزة في بريطانيا وحدها أكثر من ثلاثين مقالاً وبحثاً كتبها مستشرقون في الدوريات الإنكليزية فقط⁽¹⁾.

ولعل المستشرق الراهب (جاك دوميه) المهتم بالأبعاد السيكولوجية لشخصيات محفوظ الروائية من أقدم المستشرقين اهتماماً بأدب هذا الروائي المميز، إذ كتب كتاباً بعنوان (ثلاثية نجيب محفوظ) نقله إلى العربية بالعنوان نفسه الشاعر المصري نظمي لوقا⁽²⁾، ثم توالى البحوث والدراسات الاستشراقية الكثيرة عنه.

وإذا كان محفوظ هو الاسم المميز في عالم الرواية العربية فإن يوسف إدريس هو الاسم المميز في عالم القصة العربية القصيرة، ولذا فقد حظي إبداعه القصصي بمتابعات المستشرقين وقراءاتهم الكثيرة، وكان من أهم هذه الدراسات دراسة (كربرشويك) الهولندي المنقولة للعربية⁽³⁾ أيضاً.

المبحث الثاني

- مفهوم الرواية، والرواية العربية عند روجر ألن

للوصول إلى مفهوم الرواية عند روجر ألن لا بد من الوقوف على مفهومه لمصطلح (أدب) الذي تقصد لآلته في الموروث النقدي والأدبي العربي في كتابه (مقدمة للأدب العربي)⁽⁴⁾ ابتداءً من الجاهلية وعصر

(1) المصدر نفسه، ص 188.

(2) ينظر، جاك جوميه: ثلاثية نجيب محفوظ، ترجمة: نظمي لوقا، مكتبة مصر، القاهرة، 1974م،

(3) ب.م. كربرشويك: الإبداع القصصي عند يوسف إدريس، ترجمة: رفعت سلام، دار سعاد الصباح، الكويت، الطبعة

الأولى، 1993م

(4) ينظر، روجر ألن: مقدمة للأدب العربي، مصدر سابق، ص 22 وما بعدها.

الإسلام مروراً بالعصور اللاحقة وانتهاءً بالعصر الحديث دون أن يرجح تعريفاً محدداً لهذا المصطلح الذي اعترف بتحوّل دلالاته وتغيّرها بحسب المحيط والتاريخ العريين، وبارتباط مفهومه كتعبير راق، وبكل أنماطه وأجناسه الشعرية والنثرية بـ (اللغة الرفيعة ارتباطاً وثيقاً إلى حدّ استبعاد الأنماط الأخرى من الإبداع غير المتوافقة مع تلك المعايير)⁽¹⁾. وقد ظل (روجر ألن) يؤكد ضرورة اشتغال كلِّ أدبٍ إنسانيٍّ على أمرين مهمين، هما الإنسانية والجِدَّة التي تعني: (أن يكون العمل مبتكراً وأصيلاً، وأن يكون شكلاً لا يُكرَّر ما يردده معظم الناس إما بحكم الحاجة أو الاضطرار)⁽²⁾. كما اشترط في مواضع كثيرة من كتابه أن يكون العمل الأدبي غير مكرور ولا مبتذل وأن يكون متعلقاً بهوم الإنسان الفرد ومعبراً عن هموم الجماعة التي ينتمي إليها هذا الفرد⁽³⁾. وعلى الرغم من إقرار (روجر ألن) بصعوبة تحديد مفهوم ثابت ونهائيّ لفنّ الرواية، واصفاً إياها بأنّها: (نمطٌ أدبيٌّ دائمٌ التحول والتبدّل، يتسم بالقلق بحيث لا يستقر على حالٍ؛ فهو لا ينفي صلتها العميقة بالحياة واتصالها الوثيق بكيونة الإنسان، وقدرتها على اجتذاب أنماطٍ متنوعةٍ ومختلفةٍ من القراء الذين وجدوا خلال المائتي السنة الماضيتين ضالّتهم في هذا الشكل الأدبي القادر على إحداث لونٍ من التوافق المفترض بين الحياة والفن)⁽⁴⁾.

إن الرواية بتصور هذا الناقد المستشرق من أكثر الأجناس الأدبية قدرةً على تصوير الذات والواقع الذي تحيا ضمنه، وهي بوصفها جنساً أدبياً قادرةً على تشخيص ذاتها بطرقٍ مختلفة، كما أنها ليست مجرد حكاية تقوم على سرد مجموعةٍ متتاليةٍ من الأحداث المترابطة أو غير المترابطة، لكنها فنٌّ يمتلك تنوعاً غنياً من الإمكانيات السردية الجامعة بين المواضيع التربوية ومواضيع التأمل الشخصي والخيال الجامح، فضلاً عن جمعها بين

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣٣.

(٢) ينظر، مثلاً روجر ألن: الرواية العربية، مصدر سابق، ص ١٨-١٩ والرأي لإدوارد سعيد كما ينقل ألن في الهامش رقم (٦) من ص ١٩.

(٣) ينظر، مثلاً روجر ألن: الرواية العربية، مصدر سابق، ص ١٨، ص ٢٠، ص ٢٢، ص ٢٨.

(٤) ينظر، روجر ألن: الرواية العربية، مصدر سابق، ص ٢٠.

ما هو اجتماعيٌ ونفسيٌ وفلسفيٌ^(١)، ولذلك يُصنفي (روجر ألن) على هذا الفن أهميةً كبيرةً مراهناً على قدرته في تحريك جوامد المجتمع العربي، وفي إحداث التغيير الثقافي اللازم والمواكب للعصر.

وإذا كان هذا المستشرق يذهب إلى محاكاة الرواية العربية لأختها الغربية وتأثرها بها واقتباسها منها، فإننا نجد له محاولات واجتهادات نقدية واضحةً في أن يتلمس لها جذوراً في الموروث العربي الحكائي الذي يشمل (النوادر، والصور القلمية الموجزة، والحكايات ذات المغزى الأخلاقي، وقصص الهروب العجيبة، والأنماط المشابهة، وقد جُمعت هذه الأعمال في مجلداتٍ تحت عناوين كثيرة التنوع بهدف توفير المتعة للفئات التي تستطيع القراءة، خاصةً أصحاب السلطة)^(٢).

أما في محاولته التوفيق بين الحضارة الغربية والحضارة المنتجة للرواية والحضارة العربية صانعة ألف ليلة وليلة والملاحم الشعبية والأسمار؛ فربما يلتقي (روجر ألن) مع النقاد الذين قالوا باحتواء الرواية على الجذر الملحمي وباشتغالها على عدة أجناسٍ تعبيرية، واحتوائها على تداخل لغاتٍ وأصواتٍ متعددة، ومن هؤلاء النقاد (ميخائيل باختين) على سبيل المثال.^(٣) وعلى أمد قرنين من الزمان يمسح (روجر ألن) بشكلٍ موجزٍ الظروف المحيطة بعصر النهضة في مختلف الأقطار العربية راصداً هذا الفن الجديد في الأدب العربي، منذ بداياته الأولى في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر على يد اللبناني (بطرس البستاني 1819-1883) حتى بلوغه الخطوة الفنية الأولى أوائل القرن العشرين على يدي محمد حسين هيكل في روايته (زينب 1913م) ثم بلوغه قمة النضج الفني منتصف القرن العشرين في مصر التي يعدّها نقطةً جغرافيةً مركزيةً في نشأة الرواية العربية واكتمالها جنساً أدبياً من الناحية الفنية^(٤).

(١) ينظر، الرواية العربية ص ٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢

(٣) ينظر، ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ط ١

١٩٨٧م، ص ٩ وما بعدها.

(٤) ينظر، المصدر نفسه، ص ٣١-١٠٥.

ويحاول هذا المستشرق الإنجليزي في رصده لهذا الأمد الزمني الطويل نسبياً التوقف عند أهم العلامات الفارقة في تاريخ الرواية العربية دون أن يقع في الانتقاء المُخَلّ الذي كان يحذره⁽¹⁾ في عرضه لمسيرة الرواية العربية الممتدة لما يقرب من القرنين من الزمان بين إرهابتها الأولى وسِنِي نضجها، الأمر الذي أوقعه في الخلط -أحيانا- عند حديثه عن الرواية بوصفها جنساً أدبياً قائماً بذاته، ويتضح ذلك جلياً من خلال ضربه الأمثلة التوضيحية لهذا الحديث عبر تناوله الأجناس الأخرى القريبة من فن الرواية، كفنّي القصة القصيرة⁽²⁾، والسيرة الذاتية مثلاً.⁽³⁾

أما مراحل تطور الرواية العربية الحديثة في هذا الأمد الزمني الطويل فيحصرها (روجر ألن) بثلاث مراحل أساسية في مسيرة الرواية العربية الحديثة، هي كالاتي: مرحلة البدايات الأولى المرتبطة بالنهضة العربية الحديثة وبتطور تقاليد النثر الأدبي فيها، ومن ثم مرحلة المحاولات القصصية المبكرة في فترة ما بين الحربين العالميتين، وأخيراً مرحلة نضج الرواية العربية التي يحددها بين العام 1939م وحتى تاريخ حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل للآداب عن ثلاثيته المشهورة سنة 1988م.

وقد اتّكأ (هذا الناقد الغربي) على عددٍ من الدارسين العرب والغربيين في التأصيل التاريخي للرواية العربية في مراحلها الثلاث، وقد تعددت إحالات هومشه على المصادر العربية والغربية؛ وإن كانت نسبة الغلبة فيها تشير إلى المصادر العربية الحديثة المتعلقة بالجنس الروائي على حساب المصادر الأخرى مجتمعةً.

وبعد أن ينتهي (روجر ألن) من التأريخ المناسب الذي يرتئيه للرواية العربية يفتح باباً في كتابه للحديث عن الموضوعات الأثيرة للرواية العربية في مرحلة نضجها واكتمالها، بحيث تحولت الرواية العربية مع هذه الموضوعات إلى جنسٍ أدبيٍّ مستقرٍّ قادرٍ على النهوض بوظيفته الاجتماعية والأخلاقية، وتتلخص هذه الموضوعات بالآتي:

(1) ينظر، روجر ألن: الرواية العربية، ص 177.

(2) ينظر، مثلاً، المصدر نفسه، ص 65

(3) وينظر، مثلاً حديثه عن سيرة طه حسين الذاتية في الأيام، ص 68 من المصدر نفسه.

أ- الصراع والمواجهة مع الاحتلال الإسرائيلي الغاصب لا سيما مع الروائيين الفلسطينيين، كغسان كنفاني في روايته (رجال في الشمس)، وجبرا إبراهيم جبرا في (السفينة) وإميل حبيبي في (سداسية الأيام الستة) وسحر خليفة في روايتها (لم نعد جواري لكم) وغيرهم⁽¹⁾،

ب- الثورة والاستقلال والتحرر، وهو ما تجسده روايات العديد من الروائيين العرب، كنجيب محفوظ في ثلاثيته، والمغربي عبد الكريم غلاب في (دفنًا للماضي) والجزائري الطاهر وطار في روايته (اللز)، والعراقي غائب طعمة فرمان في (خمسة أصوات)، واللبناني توفيق يوسف عواد في (الرغيف)، والسوري حنا مينا في (الشراع والعاصفة) وغيرهم⁽²⁾.

ج- الحرب الأهلية اللبنانية، كما جسدها أعمال كلٍّ من: توفيق يوسف عواد في رواية (طواحين بيروت) وغادة السمان في (كوايس بيروت) وإلياس خوري في (الجبل الصغير) وغيرهم⁽³⁾.

د- إشكالية العلاقة مع الغرب، ولا سيما في مرحلة ما بعد التحرر من نير الاستعمار، وكما جسّد ذلك كتاب عربٌ مختلفون، منهم: اللبناني يوسف إدريس في (الحي اللاتيني) والسوداني الطيب صالح في (موسم الهجرة إلى الشمال) والمغربي محمد زفزاف في (المرأة والورد) وغيرهم⁽⁴⁾.

هـ- التحولات الاجتماعية بعد استثمار النفط، كما تعكس ذلك روايات الروائي السعودي الأصل عبد الرحمن منيف ك(النهايات) و(سباق المسافات الطويلة) ثم خماسيته المطولة (مدن الملح)⁽⁵⁾.

و- العلاقة بين الريف والمدينة، وهي موضوعٌ ليست جديدةً على الرواية العربية، فقد رسم لها الروائي العراقي ذو النون أيوب صوراً نابضةً بالحياة عام ١٩٤٨ في روايته (اليد والأرض والماء) وتابعه في مصر عبد الرحمن الشرقاوي في روايته المشهورة (الأرض) ومواطنه يوسف إدريس

(١) ينظر، المصدر نفسه، ص ١٠٧ وما بعدها.

(٢) ينظر، نفسه، ص ١١٨ وما بعدها.

(٣) ينظر، نفسه، ص ١٢٨ وما بعدها.

(٤) ينظر، نفسه، ص ١٣٣ وما بعدها.

(٥) ينظر، نفسه، ص ١٣٥ وما بعدها.

في رواية (الحرام) ثم يوسف القعيد في (عزبة المنيسي) وصنع الله ابراهيم في روايته (نجمة أغسطس)، وغيرهم⁽¹⁾.
ز- المرأة ودورها الاجتماعي، حيث تعكس عنوانات الروايات العربية الأولى- بحسب روجر ألن- كرواية (ذات الخدر) و(زينب) و(ثريا) و(سارة) و(حواء) اهتمام الكتاب والمثقفين العرب بالمرأة⁽²⁾ التي لا يمكن لها أن تغير من منزلتها ووضعها الاجتماعي إلا من خلال التعليم والتوق للحرية والمساواة، وهو ما تجسده رواية (أنا أحيا) التي كتبتها الروائية اللبنانية (ليلى بعلبكي) عام ١٩٥٨ م.⁽³⁾

ح- الفرد والحرية، وهو ما تعكسه مجموعة الروايات التي جعلت من موضوعة السجن مادةً لمقارعة القمع السياسي في البلاد العربية كروايات (السجن ١٩٧٢) لنييل سليمان و(الوشم ١٩٧٢) لعبد الرحمن مجيد الربيعي و(شرق المتوسط) لعبد الرحمن منيف و(تلك الرائحة) لصنع الله إبراهيم، وغيرها من الروايات العربية التي أخذت على عاتقها تصوير صراع الفرد العربي في مقاومته للاضطهاد السياسي وتوقه للحرية التي يفتقدها في وطنه⁽⁴⁾.

المبحث الثالث

الاشتغال النقدي عند روجر ألن.. من المفهوم إلى الإجراء

إذا كان الجانب النظري من النقد الأدبي مهتماً بالبحث في ماهية الأدب ووظيفته وتصوراته ومفاهيمه العامة، فإن الجانب التطبيقي سينصبّ حول تساؤلات الناقد عن مقومات العمل الأدبي، وطريقة الكاتب (الأديب) في تصوير هذه المقومات وتجسيدها فنيًا وبيان مدى نجاحه أو إخفاقه في ذلك.

(١) ينظر، نفسه، ص ١٣٥ وما بعدها.

(٢) ينظر، نفسه، ص ١٤٧

(٣) ينظر، نفسه، ص ١٥١.

(٤) ينظر، المصدر نفسه، ص ١٥٦ وما بعدها.

وبما أن (روجر ألن) اختار الرواية العربية ميداناً لاشتغاله النقدي، فهو يعترف بعد استعراضه السريع لوضع الكتابة الروائية العربية بقصور هذا الاستعراض عن الإحاطة بكل الأعمال المهمة والمرموقة⁽¹⁾ مُعلناً عن انتقائه نماذجٍ روائيةٍ محدّدةً بغية الانتقال برؤيته النقدية الخاصة (من داخل النص إلى الميدان العام لبحث وضع كلٍّ من الكاتب والقارئ، وكذلك النص الروائي نفسه)⁽²⁾

ولذلك فهو يختار اثنتي عشرة روايةً كنماذجٍ للتحليل الكاشف عن قناعةٍ مختمرةٍ وعن رؤيةٍ مسبقةٍ مفادها: إن الرواية تمثّل النمط الأدبي الأكثر قدرةً على الكشف عن تعقيدات الحياة في مجتمعٍ ما وعن مناحي التنوع والتناقض فينا كبشر، فضلاً عن أن هذه الروايات المختارة كلّها منشورةٌ بعد حرب حزيران 1967م وأثارت جدلاً كبيراً وتفكيراً في الطريقة العقيمة التي يحيا فيها المجتمع العربي⁽³⁾. أما الروايات العربية التي أثارت الفضول النقدي عند (ألن) فكانت كالآتي:

١ - «ثرثرةٌ فوق النيل» لنجيب محفوظ، الذي جمع فيها هذا الروائي عدداً من الشخصيات المثقفة تجمعهم عوامةٌ راسيةٌ في النيل، يلتقون فيها مساء كل يوم، وقد انقطعت صلتهم بالواقع من حولهم، فانصرفوا إلى ملذاتهم، وافترقوا القدرة على المشاركة العملية في المجتمع، وقد وجد (ألن) هذه الرواية من أغنى روايات محفوظ رمزيةً⁽⁴⁾، وما العوامة فيها إلا (وسيلةٌ للانعزال عن عالم المدينة وعن المجتمع ومشكلاته، وسبيلاً للابتعاد عن الغربة التي تفرضها طبيعة الحياة الحديثة)⁽⁵⁾. ويتضح اقتراب (روجر ألن) في تعليقاته النقدية حول هذه الرواية من تصورات المنهج الاجتماعي التي فسّرت علاقة الفن بالواقع انطلاقاً من أن الفنون والآداب ما هي إلا انعكاسٌ لواقع الحياة وتطورها.

(١) ينظر، نفسه، ص ١٩٥.

(٢) نفسه، ص ١٧٧.

(٣) ينظر، نفسه، ص ١٩٦.

(٤) ينظر، نفسه، ص ٢٠٣.

(٥) نفسه، ص ١٩٩.

٢ - «ما تبقى لكم»، لغسان كنفاني، وهي: روايةٌ تتناول معاناة أسرة فلسطينية نازحة بسبب الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٤٨م، ثم تأخذ أحداثها بمتابعة تشتت الأسرة ممثلةً بشخصية (حامد) وأخته (مريم) اللذين يكابدان أصناف المعاناة والعذاب بسبب تبدل طريقة حياتهما بعد هذا النزوح المرير.

ويجد (ألن) في شخصية مريم التي أُجبرت على الزواج من الشخص الخائن (زكريا) صاحب الأولاد الخمسة الذي استغل براءتها وأنوثتها تجسيدا لخيانة قضية فلسطين من الداخل^(١)، ويتتهي إلى أن الكتابات القصصية لكنفاني الملتزم بقضيته الكبرى (لا تكثرث بالواقعية المضخمة التي تميز، بل يمكننا القول أنها تشوّه أعمال الآخرين ممن كتبوا عن القضية الفلسطينية دون أن تكون لديهم ملكات كنفاني الفنية)^(٢).

٣ - «عودة الطائر إلى البحر»، لحليم بركات المكتوبة بتأثير هزيمة حزيران التي أذلت العرب سياسياً، وهزت ضمائر كتابهم أدبياً عبر تغيير أشكال الكتابة لتشتمل على مظاهر مأساوية الواقع وتشظياته، وقد تجسّدت أبعاد هذه المأساوية من خلال الشخصية الروائية التي يمثلها في هذه الرواية البطل (رمزي الصفدي) الأستاذ الجامعي المشتت والمهزوم والمعبر عن وعي الطبقة المثقفة العربية، وتلجأ هذه الرواية إلى أسطورة الهولندي الطائر^(*) وتتخذ منها أنموذجها الأمل لربط المأساة بالمأساة، بحيث يصبح الهولندي الطائر رمزاً للعذاب الفلسطيني المستمر، وتصبح البلاد العربية كسفينة تائهة دون دفعة في محيط هائج^(٣).

٤ - «موسم الهجرة إلى الشمال» للطيب صالح، وهي رواية تتحدث عن التقاء الغرب والشرق وتناقضهما، واختلال التوازن بينهما بسبب سوء

(١) ينظر، نفسه، ص ٢٠٩.

(٢) نفسه، ص ٢١٢.

(*) وهي عبارة عن شبح لسفينة أسطورية لا يمكنها أن ترسو في ميناء ومحكوم عليها الإبحار في المحيطات أبداً، ومن المرجح أن تكون هذه الأسطورة قد نشأت من الفولكلور البحري في القرن السابع عشر، وتبين المشاهدات المدونة لبعض البحارة أن السفينة تتوهج كضوء شبحي عند اقتراب سفينة أخرى منها... وعند محاولة إيصال أي رسالة من (الهولندي الطائر) إلى اليابسة أو إلى البشر يتضح أن طاقمها ماتوا منذ زمن بعيد، ويعد ظهورها علامة شؤم للبحارة ونذير بكارثة وشيكة. ينظر <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

(٣) ينظر، روجر أن، مصدر سابق، ص ٢١٣.

التفاهم الناجم عن تصادم القيم الثقافية لكلٍ منهما، وذلك من خلال رحلة شخصٍ قرويٍّ شديد الفطنة (مصطفى سعيد) الذي ينتقل من قريةٍ سودانيةٍ منعزلةٍ لأغراض الدراسة إلى (لندن) المدينة الغربية الحديثة شكلاً ومضموناً، وبعد هذه الرحلة المفعمة بالاكشاف والعلاقات النسائية المتعددة الدوافع يعود البطل (مصطفى سعيد) ليتزوج من امرأة (حسنة) تنتمي إلى قريته ويشعر - كما ينقل لنا الراوي الذي يتابع هذه الأحداث بطرقٍ مختلفة - أنها الوحيدة التي أحبها بصدق، وحين يموت البطل يكتشف الراوي الذي اطلع القارئ على أسرار الشخصية وغوامض رحلته البعيدة وعلاقاته المتعددة أن حياة مصطفى سعيد ما هي إلا (رمزٌ كاملٌ لشعوره بالغربة داخل وطنه الأصلي، والذي سعى دائماً لتأكيد هويته في فترة غربته أثناء وجوده في لندن)⁽¹⁾.

٥ - «أيام الإنسان السبعة» لعبد الحكيم قاسم المبنية حول حياة (عبد العزيز) الذي تتخذ الرواية محوراً لما يحيط به من أمورٍ وأحداثٍ يتحرك فيها ضمن عائلةٍ قرويةٍ تنتمي إلى مجموعةٍ صوفيةٍ (دراويش) داخل قريةٍ من قرى الريف المصري فترصد مراحل حياة هذا البطل في تنقله من عالم الطفولة إلى عالم المراهقة والرجولة ثم اكتمال الشباب وما يصاحبه من تبدلٍ بالوعي نتيجة الاطلاع والدراسة والاكشاف.

وبحسب (ألن)، فإن هذه الرواية تكشف من خلال أسلوب الاسترجاع (فلاش باك) عن نفور (عبد العزيز) من تقاليد المجموعة الصوفية التي ينتمي إليها بتأثير الوعي والدراسة الجامعية في الاسكندرية، وعليه فيمكن (رؤية الرواية على أنها نظرةٌ من الداخل لعملية تغييرٍ طويلةٍ وصعبةٍ في كثيرٍ من الأحيان، وكواجهةٍ بين المفاهيم الشعبية للدين والخرافات السائدة ضمن تركيبة القرية من جهةٍ وبين سمات العالم المتغير في الخارج كما تتجلى في حياة المدينة والتعليم المعاصر من جهةٍ أخرى)⁽²⁾.

(١) (المصدر نفسه، ص ٢٢٤-٢٢٥).

(٢) (نفسه، ص ٢٣١).

٦ - «السفينة» لجبرا إبراهيم جبرا، روايةٌ تدور أحداثها المتقاطعة والمتداخلة من خلال حديث مجموعة من المثقفين الذين يعانون من تناقضات الواقع المحيط بهم، وهم على ظهر سفينةٍ منطلقة من بيروت إلى أحد الموانئ الأوربيّة، ووجد (ألن) في سفينة جبرا براعةً في طريقة السرد وتوظيفاً موفّقاً للرموز، فالسفينة عالمٌ مصعّرٌ تتبادل فيه مجموعة من المثقفين الأفكار المتعلقة بوجودهم وبنمط معيشتهم، أما البحر فما هو الأفق المفتوح لأصحاب هذه الأفكار وهم يتوقون إلى الحرية وإلى المطلق^(١).

٧ - «رباعية إسماعيل فهد إسماعيل»، وهي عبارة عن أربع روايات متسلسلة نشرت بداية السبعينيات من القرن الماضي بالتتابع، وكالاتي: (كانت السماء زرقاء) (المستنقعات الضوئية)، (الحبل)، (الضفاف الأخرى)، وقد اتخذت من القمع السياسي وما رافقه من حرمان واضطهاد واعتقال ونفي سياسيّ طال مجموعة من المثقفين العراقيين مطلع الستينيات من القرن المنصرم^(٢)، وتدور أحداث الرواية الأولى حول هروب شخصيتي البطل والضابط الذي أقعدته إصابته بسبب الثورة الحاصلة في البلد ومنعته عن مواصلة الحركة، وكلاهما ينشد الهرب خلاصاً من ماضٍ مؤلم فيلتقيان لتدور أحداث الرواية من خلال حواراتهما واسترجاعاتهما كل لماميه، أما رواية (المستنقعات الضوئية) فيشير عنوانها إلى زنانات السجن التي تتسلل إليها خيوط الشمس بين حينٍ وآخر لتنير جوها الكابي النتن، وبطل الرواية (حميدة) سجينٌ محكومٌ عليه بالمؤبد لأنه دافع عن فتاة تعرضت للقتل على يد أخويها في شارع عام^(٣)، في حين لا يحمل بطل رواية (الحبل) اسماً على الرغم من ميوله اليسارية الواضحة، وهو سجينٌ سياسيٌّ أيضاً يفقد وظيفته الحكومية عقاباً له فيضطر لدخول الكويت للعمل، وبعد اكتشاف السلطات الكويتية عدم حيازته لجواز سفر رسميٍّ تقوم بطرده للحدود، وهناك يصادر كل ما عنده من أموال ادخرها لأولاده، فينتهي

(١) ينظر، المصدر نفسه، ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٢) ينظر، نفسه، ص ٢٥٠.

(٣) ينظر، نفسه، ص ٢٥٤-٢٥٥.

به المطاف ليكون لصًا لا يسرق إلا رجال الشرطة!⁽¹⁾ ويضيف إسماعيل فهد عام ١٩٧٢ إلى رباعيته روايته الثالثة (الحبل) ذات الشخصية الرئيسة الواحدة حين يبدأ بطل الرواية بسرقة بيت أحد ضباط الشرطة، ومن خلال هذا الموقف يدور حوارٌ داخليٌّ بين البطل وذاته، وقد استبطن هذا الحوار استرجاعاتٍ متتاليةً لمواقفٍ مختلفةٍ من حياة البطل المتخذ من الحبل الذي يحمل عنوان الرواية وسيلة الوصول إلى البيوت لسرقتها، ثم يختتم هذا الروائي رباعيته برواية (الضفاف الأخرى) محاولاً متابعة خيوط وملامح الشخصيات الرئيسة التي رسمها في رواياته الثلاث السابقة بهدف متابعة خطِّ قصصيٍّ متوائمٍ معها جميعاً⁽²⁾، غير أن صاحب الرباعية -بحسب ألن- ظلّ دون مستوى النجاح في إنتاج تجربةٍ مركّزةٍ، كما أن كلّ روايةٍ من رواياته الأربعة تمتعت بوجودٍ مستقلٍّ عن بقية أخواتها من الروايات المندرجة ضمن هذه الرباعيّة⁽³⁾.

٨ - «الزيني بركات» لجمال الغيطاني، التي ترصد حالة مصر إبان السلطة المملوكية من ٩١٢ هـ إلى ٩٢٣ هـ، وهي فترة تعيين الزيني بركات محتسبا ذا سلطات هائلة. كما تبين صراع الأمراء المماليك في ما بينهم حول السلطة وتجسّس البعض منهم على الرعية والسلطان لصالح الأتراك وما رافق ذلك من قمع واستبداد وعنفٍ سياسيٍّ. غير أن هذه الرواية ذات التكنيك السردى المتنوع، وإن استلهمت التاريخ؛ فقد ظلت مليئةً بالمفاتيح والدلائل التي تستهدف الحاضر الذي يحياه الكاتب⁽⁴⁾. وعلى الرغم من وجود تشابه واضح بين عهد الزين بركات الملىء بالبصامين (الجواسيس) والمنتفعين السياسيين وعصر الرئيس المصري (عبد الناصر) فوجر ألن يرفض أن تصنّف هذه الرواية على أنها مجرد انعكاسٍ للحظة تاريخية معينة ومحدودة، مؤكّداً في الوقت نفسه مساهمتها الواضحة في تطوير أساليب السرد في الرواية العربيّة الحديثة⁽⁵⁾.

(١) ينظر، نفسه، ص ٢٥٦.

(٢) ينظر، نفسه، ص ٢٥٧-٢٦٠.

(٣) ينظر، نفسه، ص ٢٦٠.

(٤) ينظر، نفسه، ص ٢٦٤.

(٥) ينظر، نفسه، ص ٢٧٥.

٩ - «الوقائع الغربية في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل» لأميل حبيبي، وهي عبارة عن ثلاث رسائل أرسلها سعيد أبو النحس المتشائل إلى الراوي بعد أن اختفى سعيد مع رجل الفضاء، ويعرض في هذه الرسائل ما يتعلق بتاريخه العائلي ومقتطفات من حياته بصورة تبعث على السخرية والضحك من الطريقة التي يحيا فيها عرب إسرائيل بعد حدوث النكبة عام ١٩٤٨ م. ويجد (روجر ألن) هذا العمل الروائي مكرّساً للتجربة الفلسطينية بكل أبعادها المأساوية^(١) ثم يخلص إلى أن إميل حبيبي من خلال رسالته في هذا العمل تعبيراً أدبياً أخاذاً عن حاجة عرب (إسرائيل) لما يعبر عن كينونتهم ووجودهم كأعضاء في مجتمع منقسم على نفسه.^(٢)

١٠ - «النهايات» لعبد الرحمن منيف، وهي رواية تتخذ من الصحراء موضوعاً لها بخلاف الروايات العربية التي غالباً ما يكون موضوعها المدن وسكانها المتممين للطبقة البرجوازية^(٣)، ومسرح الرواية قرية (طيبة) الواقعة على تخوم الصحراء حيث الصعوبات الجمة التي يواجهها سكان هذه القرية المهتدة بالرمال الزاحفة وبالحرارة اللاهبة وشحة المياه على مدار العام، ما يجعل منها رواية تركز على جماعة لا على بطل فرد مع وجود شخصية رئيسية (عساف) المحب للطبيعة والرافض لصيد الحيوانات والطيور البرية بشدة، كما أنها رواية تركز على البيئة أكثر من تركيزها على الأحداث.^(٤)

١١ - «حكاية زهرة» لحنان الشيخ، حيث ترتبط هذه الرواية بفترة تاريخية معروفة من حياة الشعب اللبناني هي فترة الحرب الأهلية ودخول إسرائيل إلى الميدان اللبناني، كما تعالج الرواية ضمن إطارها السردى المتشعب وضع المرأة متخذة من سلوك (زهرة) الفتاة المنحدرة من جنوب لبنان والمجسدة لتحطّم الأسرة اللبنانية وتفكك أواصرها أثناء الحرب.^(٥)

(١) ينظر، نفسه، ص ٢٨٠.

(٢) ينظر، نفسه، ص ٢٩٠.

(٣) ينظر، نفسه، ص ٢٩١.

(٤) ينظر، نفسه، ص ٢٩٣.

(٥) ينظر، نفسه، ص ٣٠٠.

إن هذه الرواية -بحسب روجر ألن- مليئة بالرموز ابتداءً من عنوانها مروراً بتوزع جسد (زهرة) بين أربعة رجال، ابن عمها قاسم، ومالك صديق شقيقها، وهاشم خالها، وماجد زوجها، وانتهاءً بتشتت الأمكنة التي تحلها زهرة وتنوعها^(١).

١٢ - «نزيف الحجر» لإبراهيم الكوني، تتحدث عن علاقة بين الشخصية المحورية (أسوف) وحيوان الودان الصحراوي (تيس جبلي) يحيطه الغموض والغرابة ويسبغ عليه من يروي أحداث الرواية صفات إنسانية^(٢) تؤكد وحدة وتكامل مخلوقات الطبيعة الصحراوية التي تنتمي لها الرواية^(٣). وتقدم نزيف الحجر - كما يرى ألن - رؤياً فريدة من خلال تركيزها على المكان القصي (الصحراء) في البيئة العربي عبر اللجوء للأسطورة، ومن خلال الاستعانة بأسلوب سرديّ ينوع ألوان الحكيم ما يجعل القارئ متوثباً على الدوام حينما يجري تغريب الواقع بين يديه بهذه الطريقة المذهلة^(٤).

ويدول لنا ونحن ننهي هذا العرض الموجز للنصوص الروائية التي حللها (روجر ألن) أنه قد اعتمد منهجاً وصفيّاً انتقائياً حاول من خلاله البحث عن محاور التقاطع والالتقاء بين مضامين النصوص الروائية التي حللها والأفكار التي تشغل المثقفين العرب والثقافة العربية ولا سيما في الفترة التي تلت نكسة حزيران 1967م. وقد ظل (روجر) ألن مشغولاً في كل النماذج التي اختارها ناقداً مضمونياً يتصيد الرؤى الاجتماعية دون أن يتغلغل في جماليات أشكال هذه المضامين، ما يدل على أنه لا يرى في الأدب إلا انعكاساً مرآوياً للواقع الذي أنتجه، وإنّ هذا الأدب لا يحتمل مبدأ الاستقلال الضمني عن المجتمع الذي أنتجه أو حتى عن المبدع الذي أبدعه، ومع هذا يبقى كتابه على قدر من الأهمية لأنه ينبّه القارئ العربي على نوعية الرواية العربية الأكثر إثارةً للقارئ الغربيّ الحصيف والأكاديمي على وجه الخصوص.

(١) ينظر، نفسه، ٣٠٢.

(٢) ينظر، نفسه، ٣٠٤.

(٣) ينظر، نفسه، ص ٣٢٠ وما بعدها.

(٤) ينظر، نفسه، ص ٣٢٥.

المصادر والمراجع

- أحمد إبراهيم الهواري نقد الرواية العربية في الأدب العربي الحديث في مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، د. ط، ٢٠٠٣م.
- أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. (القاهرة: المؤلف، بدون تاريخ).
- ب. م. كبريشويك: الابداع القصصي عند يوسف إدريس، ترجمة: رفعت سلام، دار سعاد الصباح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م
- جاك جوميه: ثلاثية نجيب محفوظ، ترجمة: نظمي لوقا، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٤م.
- روجر ألن: الرواية العربية مقدمةً تاريخيةً ونقديةً، ترجمة: حصة إبراهيم المنيف، المشروع القومي للترجمة، ١٩٩٧م (د ط).
- : مقدمة للأدب العربي، ترجمة: رمضان بسطاويسي، مجدي أحمد توفيق، فاطمة قنديل، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣م.
- عبد الله العروبي: الأيديولوجية العربية المعاصرة، دار الحقيقة، بيروت، د. ط، ١٩٧٠م
- عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحثٌ في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠)، الكويت، ١٩٩٨م.
- محمد سويرتي: النقد البنيوي والنص الروائي، نماذجٌ تحليليةٌ من النقد العربي، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ط ٢، ١٩٩٤م
- محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس ط ١، ٢٠١٠م.
- ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٨٧م.
- نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط ٤، ١٩٨٠م، ج ٢.
- د. وائل علي السيد: المستشرقون وأثرهم في الدراسات الأدبية العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠١٣م.

*<https://ar.wikipedia.org/wiki/>

* <https://www.albayan.ae/paths/books/29-06-2008>